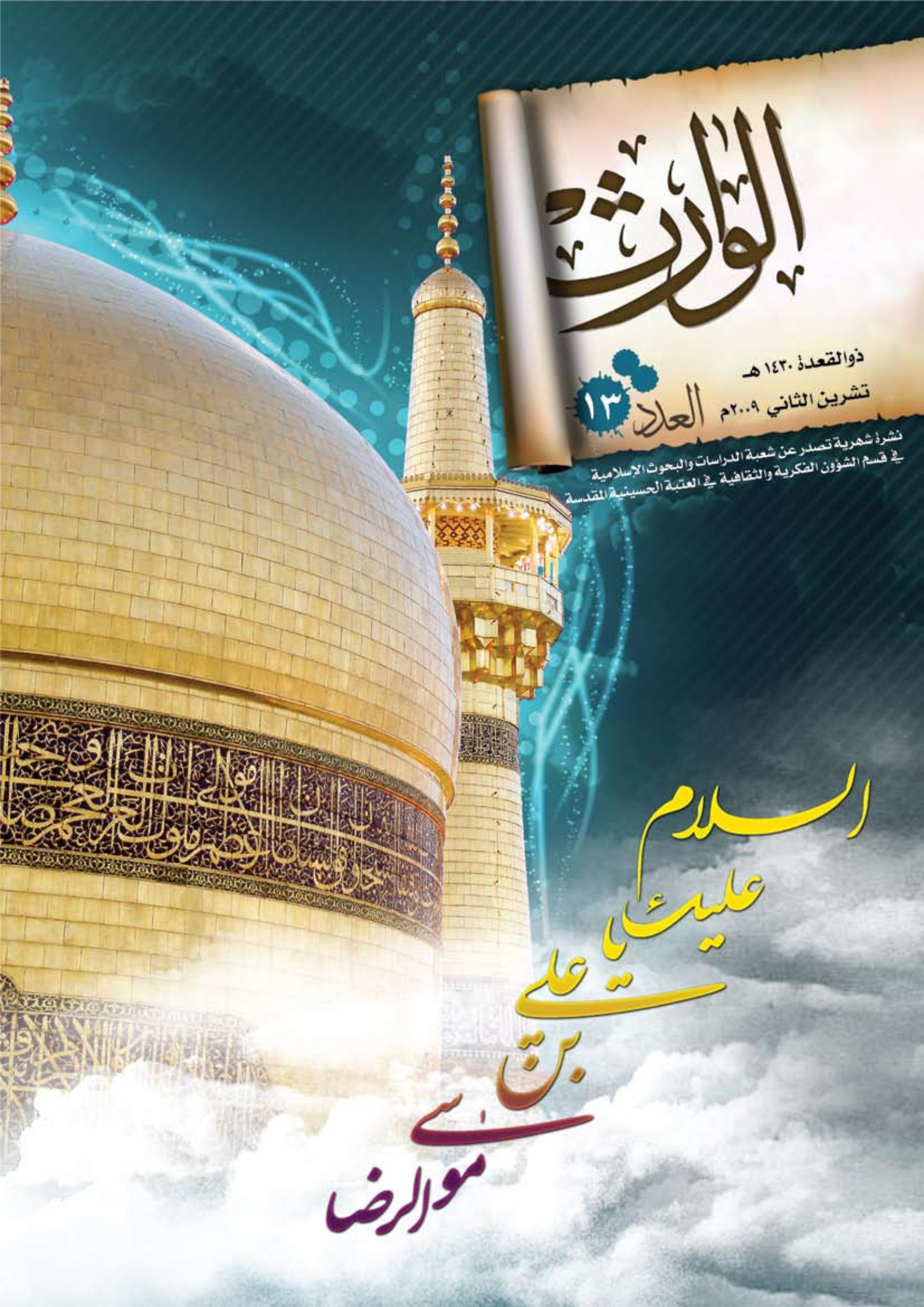
التراث
ذو القعدة ١٤٣٠ هـ
تشرين الثاني ٢٠٠٩م
العدد ١٣
نشرة شهرية تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
السلام عليك يا علي بن موسى الرضا

صفحات الوارث

بسم الله الرحمن الرحيم

١	أسعد الله أيامكم بولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام
٢	قطوف دانية من السيرة الحسينية / نصرة الملائكة للائمة عليهم السلام
٤	في رحاب علوم القرآن / اجميع الكتاب يشمل التاويل ام بعضه؟...
٦	على ضفاف نهج البلاغة / المبادئ التربوية في نهج البلاغة ـ القسم الثاني
٨	محطات ثقافية / المصطلح وسمات العلمية المنهجية
١٠	أخلاقك هويتك / السعادة والشقاء
١٢	مباحث عقائدية/ سلسلة مباحث التوحيد/مبحث اثبات التوحيد واقسامه/القسم الأول
١٤	عبرٌ من التاريخ / الأرضة تخبر عن وفاة نبي الله سليمان عليه السلام
١٥	معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم/ من معاجز الإمام الحسن عليه السلام
١٦	أعلام الشيعة / زرارة بن اعين المؤتمن على حلال الله وحرامه
١٨	شؤون أسرية / طبيعة الحوار في الأعمار المختلفة
٢٢	معارف عامة / النجم النتروني

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن المؤذن

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
ـ وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ ـ داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

أسعد الله أيامكم بولادة الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)

مولده (عليه السلام)

ولد علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) بالمدينة يوم الخميس في ١١ ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة[١].

كنيته (عليه السلام)

أبو الحسن: كناه بذلك والده الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).

ألقابه (عليه السلام)

الرضا، الصابر، الوفي، الصادق، الفاضل، الزكي، والولي، وأشهرها الرضا[٢].

وقد بين الإمام الجواد معنى لقب «الرضا» أمام جماعة من أصحابه، فقال: «إن الله تبارك وتعالى سماه الرضا، لأنه كان رضي لله عز وجل في سمائه ورضي لرسوله، والأئمة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه ...».

فقال له البزنطي: «ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين (عليهم السلام) رضي لله عز وجل ولرسوله، والأئمة بعده؟» فقال: «بلى».

قال، فقلت له: لم سمي أبوك من بينهم بالرضا؟. قال (عليه السلام): «لأنه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه، فلذلك سمي من بينهم بالرضا....»[٣].

هيبته (عليه السلام)

للإمام الرضا (عليه السلام) هيبة الأنبياء وكرامة الأوصياء الذين كساهم الله بنوره، وكان يعرف من بين أفراد مجتمعه أنه إذا جلس للناس أو ركب في سفر لم يقدر أحد أن يرفع صوته في حضرته من عظيم هيبته.

ويقول الرواة: إنه إذا جاء إلى المأمون بادره الحجاب والخدم بين يديه، ورفعوا له الستر، ولما بلغهم أن المأمون يريد أن يبايع له بولاية العهد تواصوا على أنه إذا جاء لا يصنعون له الخفاوة والتكريم اللذين كانوا يصنعونهما وجاء الإمام على عادته فأخذهم هيبته وبادروا إلى تكريمه كما كانوا يصنعون، وتلاوموا فيما بينهم وأقسموا إنه إذا عاد لا يقابلوه بذلك التكريم، ولما جاء (عليه السلام) في اليوم الثاني قاموا إليه وسلموا عليه إلا أنهم لم يعرفوا له الستر، فجاءت ريح فرفعته كعادته، ولما أراد الخروج أيضاً رفعت الريح الستر، فقال بعضهم لبعض: إن لهذا الرجل شأناً ولله به عناية ارجعوا إلى خدمتكم[٤].

ويروى عن عبد الله بن مطرق أنه دخل على المأمون يوما وعنده علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، قال له المأمون: ما تقول في أهل البيت؟. فقال عبد الله: ما أقول في طينة عجنت بماء الرسالة وغرست بماء الوحي، هل ينفح منها إلا مسك الهدى، وعنبر التقى.

عندها دعا المأمون بحقة فيها لؤلؤ فحثا فاه حتى لا يعيدها أمام الناس[٥].

---

١. علل الشرايع للصدوق: ج١، ص٢٧٣.
٢. نور الإبصار: ص١٧٨.
٣. بحار الأنوار: ج١٢، ص٢.
٤. الإتحاف بحب الأشراف: ص٥٨.
٥. أعيان الشيعة: ج٤، ص١١٢.

نصرة الملائكة للأئمة (عليهم السلام)

روى المجلسي عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) قال الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام): إن الله تعالى ذم اليهود في بغضهم لجبرئيل الذي كان ينفذ قضاء الله فيهم بما يكرهون، وذمهم أيضا، وذم النواصب في بغضهم لجبرئيل وميكائيل وملائكة الله النازلين لتأييد علي بن أبي طالب (عليه السلام) على الكافرين حتى أذلهم بسيفه الصارم، فقال: (قل من كان عدوا لجبريل) من اليهود، لرفعه من بخت نصر أن يقتله دانيال من غير ذنب كان جناه بخت نصر، حتى بلغ كتاب الله في اليهود أجله، وحل بهم ما جرى في سابق علمه، ومن كان أيضا عدوا لجبرئيل من سائر الكافرين ومن أعداء محمد وعلي الناصبين؛ لان الله تعالى بعث جبرئيل لعلي (عليه السلام) مؤيدا وله على أعدائه ناصرا، ومن كان عدوا لجبرئيل لمظاهرته محمدا وعليا (عليهما الصلاة والسلام)، ومعاونته لهما وإنفاذه لقضاء ربه عز وجل في إهلاك أعدائه على يد من يشاء من عباده، (فإنه) يعني جبرئيل (نزله) يعني نزل هذا القرآن (على قلبك) يا محمد (بإذن الله) بأمر الله، وهو كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) نزّل هذا القرآن جبرئيل على قلبك يا محمد مصدقا موافقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكتب شيث وغيرهم من الأنبياء. ثم قال: (من كان عدوا لله) لإنعامه على محمد وعلي وآلهما الطيبين، وهؤلاء الذين بلغ من جهلهم أن قالوا: نحن نبغض الله الذي أكرم محمدا وعليا بما يدّعيان وجبرئيل، ومن كان عدوا لجبريل لأنه جعله ظهيرا لمحمد وعلي عليهما الصلاة والسلام على أعداء الله وظهيرا لسائر الأنبياء والمرسلين كذلك (وملائكته) يعني ومن كان عدوا لملائكة الله المبعوثين لنصرة دين الله وتأييد أولياء الله، وذلك قول بعض النصاب والمعاندين: برئت من جبرئيل الناصر لعلي (عليه السلام) وهو قوله: (ورسله) ومن كان عدوا لرسل الله موسى وعيسى وسائر الأنبياء الذين دعوا إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمامة علي (عليه السلام). ثم قال: (وجبريل وميكال) ومن كان عدوا لجبرئيل وميكائيل وذلك كقول من قال من النواصب لما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي (عليه السلام): جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وإسرافيل من خلفه، وملك الموت أمامه، والله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصره. قال بعض النواصب: فأنا أبرأ من الله ومن جبرئيل وميكائيل والملائكة الذين حالهم مع علي (عليه السلام) ما قاله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)! فقال: من كان عدوا لهؤلاء تعصبا على علي بن أبي طالب (عليه السلام) (فإن الله عدو للكافرين)، فاعل بهم ما يفعل العدو بالعدو من إحلال النقمات وتشديد العقوبات. وكان سبب نزول هاتين الآيتين ما كان من اليهود أعداء الله من قول سيئ في جبرئيل وميكائيل، وكان من أعداء الله النصاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله. وأما ما كان من النصاب فهو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما كان لا يزال يقول في علي (عليه السلام) الفضائل التي خصه الله عز وجل بها والشرف الذي أهله الله تعالى له، وكان في كل ذلك يقول: أخبرني به جبرئيل عن الله. ويقول في بعض ذلك، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنه عن يمين علي (عليه السلام) الذي هو أفضل من اليسار، كما يفتخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه على يساره، ويفتخران على إسرافيل الذي خلفه في الخدمة، وملك الموت الذي أمامه بالخدمة، وأن

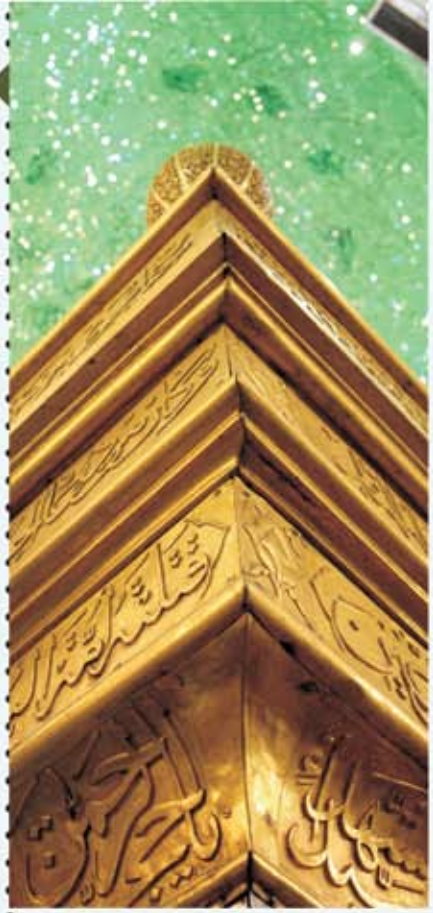

اليمين والشمال أشرف من ذلك، كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلهم من ملكهم. وكان يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض أحاديثه: إن الملائكة أشرفها عند الله أشدها لعلي بن أبي طالب حبا، وإن قسم الملائكة فيما بينها: والذي شرف عليا على جميع الورى بعد محمد المصطفى، ويقول مرة (أخرى): إن ملائكة السماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤية علي بن أبي طالب، كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفنتهم. فكان هؤلاء النصاب يقولون: إلى متى يقول محمد: جبرئيل وميكائيل والملائكة، كل ذلك تفخيم لعلي وتعظيم لشأنه؟! ويقول: الله تعالى خاص لعلي دون سائر الخلق؟! برئنا من رب ومن ملائكة ومن جبرئيل وميكائيل، هم لعلي (عليه السلام) بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مفضلون! وبرئنا من رسل الله الذين هم لعلي (عليه السلام) بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مفضلون! وأما ما قاله اليهود فهو أن اليهود أعداء الله، فإنه لما قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة أتوه بعبد الله بن صوريا، فقال: يا محمد! كيف نومك؟ فإنا قد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): تنام عيني، وقلبي يقظان، قال: صدقت يا محمد! قال: أخبرني يا محمد! الولد يكون من الرجل، أو من المرأة؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل، وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة. قال: صدقت يا محمد! ثم قال: يا محمد! فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له. قال: صدقت يا محمد! فأخبرني عمن لا يولد له، ومن يولد له؟ فقال: إذا مغرت النطفة لم يولد له - أي إذا احمرت وكدرت - وإذا كانت صافية ولد له. فقال: أخبرني عن ربك ما هو؟ فنزلت: (قل هو الله أحد) إلى آخرها. فقال ابن صوريا: صدقت يا محمد! بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك، أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟ قال جبرئيل: قال ابن صوريا: كان ذلك عدونا من بين الملائكة، ينزل بالقتل والشدة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك، لأن ميكائيل كان يشد ملكنا، وجبرئيل كان يهلك ملكنا، فهو عدونا لذلك. فقال له سلمان الفارسي: فما بدؤ عداوته لك؟ قال: نعم، يا سلمان! عادانا مرارا كثيرة، وكان من أشد ذلك علينا أن الله أنزل على أنبيائه أن بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر وفي زمانه، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت، فلما بلغنا ذلك الحين الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس، بعث أوائلنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبيا كان يعد من أنبيائهم، يقال له: دانيال في طلب بخت نصر ليقتله، فحمل معه وقر مال لينفقه في ذلك، فلما انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاما ضعيفا مسكينا ليس له قوة ولا منعة، فأخذه صاحبنا ليقتله، فدفع عنه جبرئيل وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أمر بهلاككم فإنه لا يسلطك عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله؟ فصدقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا وأخبرنا بذلك، وقوي بخت نصر وملك وغزانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذه عدوا.

موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): معهد تحقيقات باقر العلوم (عليه السلام)، ص٥٤٢ - ٥٤٦، ح١.

يشمل التأويل أم بعضه؟...

قيل إن التأويل يكون في بعض الآيات وهو ناظر إلى الخارج الذي سيقع كأهوال يوم القيامة. والحساب والنشور والبرزخ، وتطاير الكتب، الذي يطابقه الخبر الصحيح المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو ما جاء عن الكتب السماوية.

لو التزمنا بهذا القول - أي أن التأويل هو الخارج المطابق - فهذا يعني أن التأويل يختص بالآيات المخبرة عن الصفات وبعض الأفعال وعن ما سيقع في يوم القيامة وأما الأحكام والقضايا التشريعية والأخلاق وسنن الماضين وتاريخ الأنبياء وقصص الأمم والشعوب - على ما تقدم - لا يشملها التأويل لأنها خرجت، فلا معنى لتأويلها. لأن الأحكام والقضايا التشريعية هي أوامر إنشائية، وأما القضايا الأخلاقية فإن تأويلها معها وأما السنن الماضية وتاريخ الأنبياء وقصص الأمم فهي أخبار قد حدثت وأن تأويلها على هذا متقدم عليها.

والملاحظ في معاني لفظة (تأويل)، الواردة في القرآن أنها تشمل جميع الآيات لا آية دون أخرى، انظر سياق الآيات الكريمة من سورة يونس قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[1].

هذه الآيات وما بعدها الحديث فيها صريح عن أولئك الناس الذين كذبوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذبوا القرآن وقالوا إنه افتراه على الله، وقد ردهم سبحانه، وقهرهم ثم تحداهم من أن يأتوا بمثله بل ولو بسورة واحدة. ثم أنبأهم بتأويل هذا القرآن الذي كذبوا به لأنهم لم يحيطوا بعلمه.

هل علم التأويل منحصر بالله؟

القرآن الكريم يؤكد أن علم الغيب مخصوص بالله سبحانه حيث وردت آيات عديدة كان فيها الحصر. وما خفي من القرآن فإنما عند الله لأنه أعلم بما يريد ولأنه عالم الغيب والشهادة. لكن هذا لا ينافي لو استثنى من علمه أحداً ولو تم هذا الاستثناء فإنما العلم بالتأويل يشمل الرسول والمعصومين من أهل البيت (عليهم السلام)، لأنهم خزان علم الله سبحانه وسره المستودع فيهم. وأمناء الوحي وحفظة الكتاب والتنزيل.

لهذا فإن الآية الكريمة شاملة لهم، حيث قال جل شأنه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾[2].

وهذا كعلمه سبحانه فإن علم الغيب لم يطلع عليه أحد بل استأثره لنفسه، وقد استثنى من هذا الاستئثار فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[3].

فالراسخون في العلم يعلمون تأويله وكلمة (يقولون) صفة أولئك الراسخين في العلم، وقد توهم البعض من العلماء فجعل قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾. أجنبياً عن صدر الآية، وهو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾. ولكن من

ظهور الآية يستفاد العطف ودليله الخبر المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، كما في الكافي، قال (عليه السلام): نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله.

التفسير بالمأثور

يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن الكريم من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما روى عن المعصومين (عليهم السلام)، بهذا يدخل بعض الصحابة والتابعين الذين سمعوا من الرسول وما نقلوا عنه أما ما ورد من الصحابة أو التابعين أنفسهم من دون أن يكون للرسول فيه نصيب بتصريح منهم، فهذا نعده إما اجتهاداً وإما التفسير بالرأي، وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله.

مر (التفسير بالمأثور) بمرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي مقتصرة على الرواية حيث كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يفسر معاني الكلمات والآيات ويفصل للصحابة ويعلمهم معانيها، وقد نهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أصحابه أن يعلمهم عشر آيات فلا يتجاوزونها حتى يعلموا أو يعملوا بها. فكان هذا القدر من التفسير يتناوله الصحابة بالرواية عن الرسول مباشرة، ومن سمع منه ينقله لغيره ممن لم يحضر، سواء كان بعيدا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كمن كان موطنه غير المدينة، أو انه مشغول في غزو أو مع سرية قد بعثها النبي أو غير ذلك من الأسباب التي لم يتسن لبعض الصحابة أن يتلقّوا من الرسول مباشرة ثم هؤلاء الصحابة نقلوا ما سمعوه إلى التابعين وهكذا التابعون يروون إلى تابعي التابعين.

هذه هي المرحلة الأولى التي مر بها التفسير، لكن لا يخفى أن الزمن كلما تقدم بالمسلمين كانت الحاجة إلى التفسير أكثر. بل هناك ضرورة ملحّة للكشف عما غمض من الألفاظ أو معاني الآيات، لهذا فكان إلى جنب التفسير بالمأثور اجتهادات بعض الصحابة وآراء بعض التابعين تدخل لتعطي للآية أكثر وضوحاً وتفصل في شأنها ومدلولها، وبهذه الكيفية فإن حجم التفسير كان يزداد يوما بعد يوم للإضافات التي أوجدها المسلمون من صحابة وتابعين.

المرحلة الثانية: لما ازدادت حاجة المسلمين إلى التفسير، والوقوف على الآيات الناسخة وتمييزها عن المنسوخة، وهكذا لمعرفة المتشابه من المحكم، والعام من الخاص، والمطلق من المقيد، الخ... فقد اضطر المسلمون من التابعين أن يجمعوا ما وصل إليهم من السلف في شأن القرآن وأسباب النزول وما عنى به القرآن، لذا كان أول ما دون هو التفسير المأثور، وقد عنى بهذا الجانب أهل الحديث والرواية وربما أول ما وصل إلينا منهم هو التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري وتفسير علي بن فرات الكوفي وعلي بن إبراهيم القمي وتفسير العياشي.

هذه أهم المصادر القديمة في عصر التدوين والتي كانت تروي لنا ما قاله السلف ـ وهم المعصومون (عليهم السلام)ـ في شأن القرآن وتفسيره.

أما بالنسبة إلى أهل السنة فكانوا يعدون مالك بن أنس الأصبحي واضع التفسير[4].

كيفما كان، فإن المرحلة التي سبقت التدوين كان التفسير يحتل بابا من أبواب الحديث والفقه، ثم أن أهل السنة كانوا يعدّون اجتهاد الصحابي أو التابعين داخلاً في التفسير بالمأثور لهذا عدّوا الصحيفة التي أوردها علي بن طلحة عن ابن عباس أول ما وصل إليهم في التفسير[5].

وقد عثروا بعد ذلك على أجزاء من تفسير ابن عباس يرويها محمد بن ثور عن ابن جريج. لكن من أهم التفاسير عند أهل السنة هو تفسير ابن جرير الطبري الذي نقل فيه كل ما وصل إليه عن الرسول والصحابة والتابعين بالإسناد عنهم وقد اشتمل هذا التفسير على أقوال الحسان والضعاف، بل فيه من الأخبار والروايات التي أسانيدها مجاهيل ومراسيل، بل حتى في أسانيده من الوضاعين والكذابين ما لا يخفى لأدنى مطالع[6].

---

١. سورة يونس: الآية، ٣٧ـ٣٩.
٢. سورة آل عمران: الآية: ٧.
٣. سورة الجن، الآية: ٢٧.
٤. المبادئ التصرية: ٢٦.
٥. الإتقان: ٢ـ ٨٨.
٦. الميسر في علوم القرآن: د. عبد الرسول الغفار، ص٤٦ـ٤٩.

القسم الثاني

المبادئ التربوية في نهج البلاغة

تحدثنا في العدد السابق عن مبدأين من المبادئ التربوية التي يمكن استنتاجها من نصوص كتاب نهج البلاغة، وقد عبرنا عن المبدأ الأول بمبدأ التربية وفق الفطرة، وعن المبدأ الثاني بمبدأ الإيمان بالغيب، وسنذكر في هذا العدد مبدأين آخرين هما مبدأ التقوى ومبدأ الزهد، لنوضح للقارئ الكريم مدى تأثير هذين المبدأين على تربية الإنسان وتكامله.

٣: مبدأ التقوى

ينبغي ان نعلم ان الإيمان المطلق بالغيب يقتضي إلى جانب التوكل على الله عز وجل، تمام التسليم والطاعة له سبحانه. لذا ليس بغريب أن يكون مبدأ التقوى هو المبدأ الثالث الذي يدعو الإمام (عليه السلام) لتربية الناس عليه.

والتقوى في نهج البلاغة ليست الخوف وتجنب الناس والانزواء عن المجتمع بل هي، في نظر الإمام، حسب تعبير الشيخ مرتضى مطهري: (قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العلمي الذي يحصل من الحذر المعقول والمنطقي من الذنوب).

فالمؤمن بوجود الله وقدرته وبما أخبر عنه من موت وحساب وجنة ونار، أقل ما ينبغي عليه أن يتقي غضبه ويحذر عقابه بإطاعة أوامره وترك نواهيه.

ويرى الإمام أن التربية التي تقوم على التقوى لا تكبل الإنسان ولا تقيده بل، على العكس من ذلك، تطلق قواه إلى أبعد مدى؛ لأنها:

ألف: تهبه البصيرة النيرة والرؤية الواضحة

كما يتضح من قوله (عليه السلام): (واعلموا عباد الله، أن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه. وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك الغاية القصوى).

وقوله (عليه السلام): (فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء غشا أبصاركم...).

وقوله (عليه السلام): (فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن).

ونفهم من هذا القول اعتقاد الإمام بأن الفاقد للتقوى لا يستطيع الاستفادة كما يجب مما يكشف له من علوم وحقائق.

باء: تحرره من أسر الهوى وتملكه زمام نفسه

من أبلغ ما ورد عن الإمام في هذا المجال قوله (عليه السلام): (ذمتي بما أقوله رهينة، وأنا به زعيم. إنّ من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات ... ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، وخلعت لجامها فتقحمت بهم في النار ... ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة).

ويعلق الشيخ مطهري على هذه الخطبة قائلاً: (إنّ من لوازم التقوى قوة الإرادة وامتلاك الشخصية المختارة، كراكب ماهر على فرس مدرب، يسير به الناحية التي يختارها بكل اقتدار وسلطة، فيطيعه الفرس بكل يسر).

وقوله (عليه السلام): (فإنّ تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة).

جيم: تمده بعون الله وتسديده

كما يتضح من قوله (عليه السلام): (أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم. وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله).

لذا كان (عليه السلام) حريصاً على أن يربي عليها أبناءه والصالحين من أتباعه. كما يقول في وصيته لابنه الحسن (عليهما السلام): (فإني أوصيك بتقوى الله، أي بني، ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره،

والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به).

وكما يأمر ولاته، كما ورد في عهده لمالك الأشتر حينما: (.. أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه، جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه...).

٤ـ مبدأ الزهد

والمبدأ الرابع الذي تعتمد عليه التربية عند الإمام (عليه السلام) هو: مبدأ الزهد. فالإيمان بعالمي الغيب والشهادة يقتضي الإيمان بكلتا الحياتين الدنيا والآخرة. لذا فالتربية الناجحة في نظر الإمام هي التي تعد الإنسان للحياتين معاً وليس للحياة الدنيا فقط.

وحيث إن نسبة الحياة الدنيا المحدودة إلى الحياة الآخرة اللامتناهية لا تساوي شيئاً يذكر، توجب على العاقل أن يقدم، في حال تعارضهما، الباقية منهما على الفانية.

فالمقصود بالزهد إذاً ليس احتقار الدنيا وعدم الاهتمام بها، بل عدم الاغترار بها، والتعامل معها على قدر قيمتها الحقيقية.

ونستنتج ذلك من كلام الإمام (عليه السلام) لأبي ذر الغفاري عند نفيه إلى الربذة. حينما قال له: (... فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك! وستعلم من الرابح غداً...). ومن قوله في موضع آخر لبعض أصحابه: (... واعملوا للجنة عملها: فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال إلى دار القرار. فكونوا على أوفاز ... وقربوا الظهور للزيال ...).

ومن أوضح ما قاله الإمام (عليه السلام) في هذا المعنى: (إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها. فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود والأعمى لها متزود).

ولقد عرف الإمام (عليه السلام) الزهد تعريفاً عملياً في موردين من النهج: الأول في الخطبة رقم (٧٩) بقوله (عليه السلام): (أيها الناس! الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عند المحارم ...).

الوارث

من زهد في الدنيا استهان بالمصيبات

والمورد الثاني في الحكمة رقم (٤٣٤) بقوله (عليه السلام): (الزهد بين كلمتين من القرآن، قال سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾) ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه).

ويعدّ الإمام الانطلاق من مبدأ الزهد، بهذا المعنى، في التربية أساساً مهماً على الصعيد الفردي والاجتماعيّ. فعلى الصعيد الفردي يمكّن الزهدُ الإنسانَ من الربح في الدارين كما يقول الإمام (عليه السلام) في الحكمة (٢٦٩): (الناس في الدنيا عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره. وعامل عمل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له في الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجته فيمنعه).

ويقول: (عليه السلام): (من زهد في الدنيا استهان بالمصيبات) و(ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها). و(الزهد ثروة).

أما على الصعيد الاجتماعي فالزهد، كالتقوى، ومنبع للكثير من الخصال الأخلاقية، كالإيثار والتواضع ومواساة الفقراء، التي تمكن الناس من تحقيق التكافل الاجتماعي ورفض الظلم وعدم الارتهان للحكام.

وقد أشار الإمام إلى علاقة الزهد بالتكافل الاجتماعي في كتابه إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف، حين نبهه فيه على وليمة حضرها (دعي إليها الأغنياء وأقصي عنها الفقراء وكان فيها من كل ما لذ وطاب). ثم دعاه إلى الزهد تأسياً بإمامه ومواساة للمساكين والكادحين، كما يتضح من قوله: (ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى ... أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش).

كما أكد (عليه السلام) على علاقة الزهد بإقامة الحكومة العادلة عندما حرص على أن يأمر واليه على مصر مالك الأشتر النخعي به، في أكثر من موضع، في عهده إليه؛ كقوله (عليه السلام) إليه في مقدمة العهد: (... أمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله) وفي موضع آخر: (فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ... وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق...).

إن مسألة الوضوح في معنى «مصطلح» وهو صفة متأتية من «الاتفاق»؛ فالمعنى المتفق على فهمه هو معنى واضح بالضرورة لدى أولئك المتفقين عليه. والمقصود بالوضوح هنا الخلوص من اللبس والاختلاط، ومن ثم كانت المصطلحات سمة علمية في حقول المعرفة المختلفة؛ لأنها من خلال صفة الوضوح والدقة تفضي إلى التحديد لمدلولها وهو التحديد الذي تتم من خلاله عملية الاتصال اللغوي لتنقل المعلومة والمعرفة والرأي بين المتعاطين للغة دون عوائق. وعلى هذا كان المعنى الاصطلاحي للفظ «مصطلح» عند جبور عبد النور أكثر تأكيداً على فعله التواصلي والمفاهيمي الذي تضطلع به اللغة في خطابها العلمي الدقيق، فهو ـ كما يقول ـ لفظ موضوعي يؤدي معنى معيناً بوضوح ودقة بحيث لا يقع أيُّ لبس في ذهن القارئ أو السامع» ويضيف «وتشيع المصطلحات ضرورة في العلوم الصحيحة، والفلسفة، والدين، والحقوق حيث تحدد مدلول اللفظة بعناية قصوى[1].

هذا التحديد الدقيق للمعنى في المصطلح يعني انحسار سلطة الذات عليه، وبروز استقلاليته بين الموضوع والذات بما يجعله شفيفاً عن مدلوله ومطابقاً لموضوعه، كاصطلاح «المثلث» و «الخط المستقيم» و«أنواع الزوايا»... إلخ، في عرف الهندسة والمساحة، حيث يتخذ المصطلح، هنا، صفة موضوعية، هي نتاج منظور منهجي «ابستمولوجي»[2] **Epistemological** تتحقق به عملية العلم ومن غير المقبول في العلم ـ كما يقول فؤاد زكريا ـ أن تترك عبارة واحدة دون تحديد دقيق، أو تستخدم قضية يشوبها الغموض أو الالتباس[3].

غير أن هذه العملية في أعمق صفاتها الحديثة وأدقها لا تتسم بالإطلاق بقدر ما تتسم بـ(النسبية) فالحقيقة العلمية ـ بعبارة الدكتور فؤاد زكريا ـ لا تكف عن التطور،

ومهما بدا في أي وقت أن العلم قد وصل في موضوع معين إلى رأي نهائي مستقر، فإن التطور سرعان ما يتجاوز هذا الرأي ويستعيض عنه برأي جديد[1].

كما أنها لا تتصف بالثبات بل بـ(التغير) ومن الخطأ الفاحش كما يضيف الدكتور زكريا أن تفترض... أن العلم الكامل لابد أن يكون ثابتاً، مع أن ثبات العلم في أية لحظة، واعتقاده أنه وصل إلى الحد الاكتمال، لا يعني إلا نهايته وموته، ومن ثم فإن الثبات في هذا المجال هو الذي ينبغي أن يعد علامة نقص. إن العلم حركة دائبة، واستمرار حيويته إنما هو مظهر من مظاهر حيوية الإنسان الذي أبدعه، ولن يتوقف هذا العلم إلا إذا توقفت حياة مبدعه ذاته[2].

المصطلح - إذن - غني بالمعرفة المنهجية لأنه جزء أساس من آلية الخطاب العلمي، وعمليته هذه متأتية من موضوعيته التي تحيد فعل الدلالة والصياغة فيه إلى درجة الشفافية والمطابقة وهي أعلى مستويات الكفاءة التواصلية في فعل اللغة.

غير أن هذه السمة العلمية في المصطلحات لا تنفك عن تجريدية العلم من جهة، مثلما أنها لا تنفك عن نسبيته وتغيره المستمر. فالتجريد - في وصف فؤاد زكريا - صفة ملازمة للعلم، ومن ثم لا تحيل مصطلحات العلوم المختلفة إلى الواقع الحي بقدر ما تحيل إلى صور متخيلة تستجيب لدلالة تلك المصطلحات والرموز، ويضرب الدكتور مثلاً على ذلك بحديث عالم الجغرافيا عن خط الاستواء، أو خط جرينتش، فعالم الجغرافيا هنا لا يقصد خطا عرضياً أو طولياً مرسوماً على صفة الكرة الأرضية، بل يقصد خطاً تخيلياً نرمز به إلى الأماكن والمواقع على سطح هذه الأرض. وهذه الخطوط ومعها مختلف الرموز التي نستخدمها في العلم، هي عالم مصطنع يخلقه العالم، ولا وجود له في الطبيعة، بل إن وجوده ذهني فحسب[3] فالاصطلاح على دلالة (خط الاستواء) و(خط جرينتش) هو اتفاق على صورة مجردة تقوم في الأذهان.

وإذا كان التجريد في العلم المعاصر صفة متأتية من إرادة الدقة القصوى على النحو الذي يمكن أن نجد أقوى أمثلته في صيغ الرياضيات، فإن دقة المصطلحات تفضي بها إلى كثافة في الدلالة يغدو المصطلح اختصاراً لها ورموزاً لسعتها، ومن ثمّ يجيء القول بأن المصطلح يتخذ للتعبير بلفظ واحد في الأعم، عن المعنى أو فكرة لا تستوعبها في العادة لفظة واحدة، ولهذا اطلقت عليه هذه التسمية، أي أنه يصطلح به على تأدية المعنى المقصود[4].

وقد استدعى هذا الاكتناز الدلالي في المصطلح، من حيث هو وسيلة المتعاطين لخطاب العلم إلى سهولة تبادل الأفكار ودقة التحديد لها، منذ القديم - آلية (الحد) **Definition** بوصفها: تعريف كامل، أو تحليل تام، لمفهوم اللفظ المراد تعريفه[5]. وهذه الآلية هي الخطوة النظرية الأولى التي يتأسس بها العلم على النحو الذي يميز مادته، وينشئ قوانينه المنهجية، التي تصف وتكشف وتَفْهَم وتُفْهِم، وبذلك تحقق لمادة العلم ما تحصل به صورتها في العقل وإدراكها على ما هي عليه[6].

١- المعجم الأدبي: ص٢٥٢.

٢- الإبستمولوجيا هي النظرية المتعلقة بمنهج المعرفة والأساس الذي تبنى عليه.

٣- التفكير العلمي: ص٥٤.

٤- م ن، ص٢٣ - ٢٥.

٥- م ن، ص٢٦.

٦- م ن، ص٥٧ - ٥٨.

٧- مجلة قضايا عربية: ع٢ - ص١٣٩، نقلاً عن جبور عبد النور.

٨- المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، ج١ - ٤٤٧.

٩- القارئ القياسي: د. صالح زياد، ص٩٦- ١٠١، ح٢.

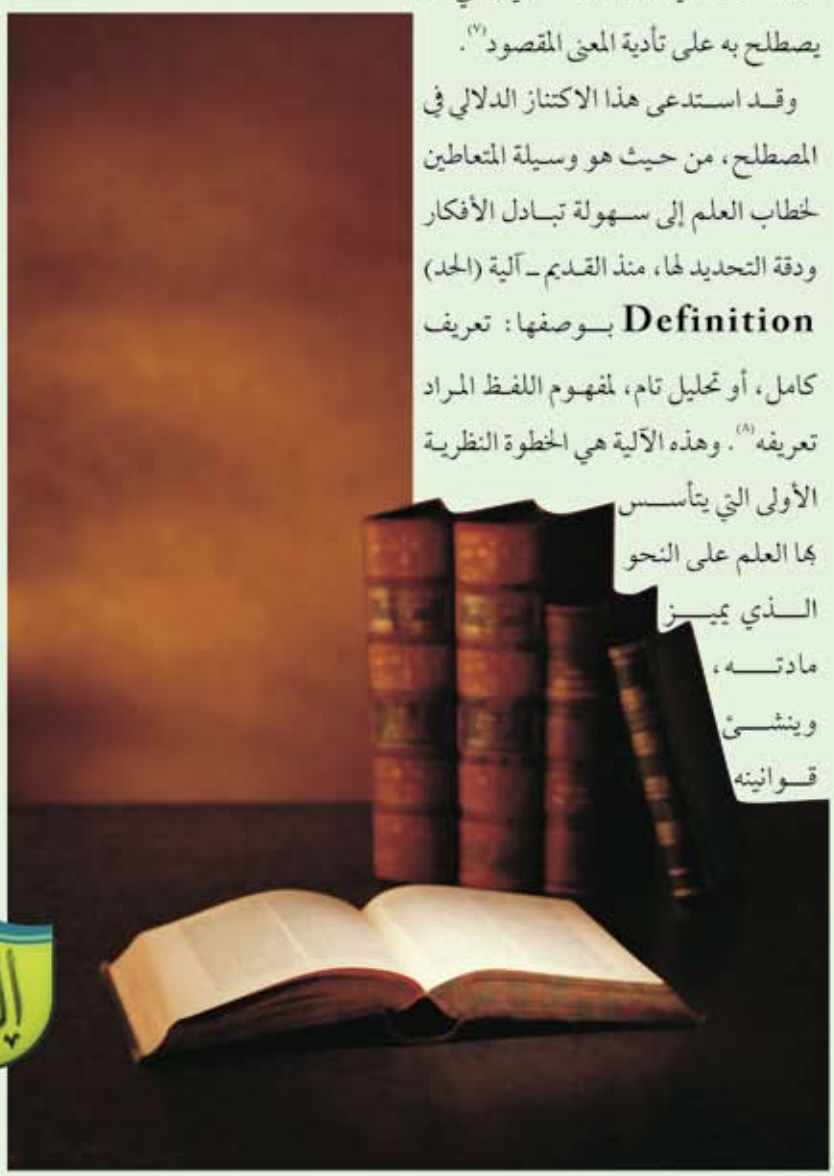

السعادة ضالة كل الناس، وكل واحد يبحث عنها في شيء ما ويطلبها في مكان ما، وهي توفر أسباب تكامل الفرد في المجتمع، والنقطة المقابلة لها هي الشقاء الذي يتنفر منه كل أحد، وهو عبارة عن عدم مساعدة الظروف للنجاح والتقدم والتكامل.

فعلى هذا، كل من توفرت له أسباب التحرك والتقدم نحو الأهداف السامية روحيا وجسميا وعائلياً وبيئيا وثقافيا، فهو أقرب للسعادة، وبتعبير آخر هو أكثر سعادة! ولكن ينبغي الالتفات إلى أن أساس السعادة أو الشقاء هو إرادة الإنسان نفسه، فهو يستطيع أن يوفر الوسائل لترشيد نفسه وحتى مجتمعه، وهو الذي يستطيع أن يواجه عوامل الشقاء ويهزمها أو يستسلم لها.

وليس الشقاء أو السعادة في منطق الوحي ومدرسة الأنبياء في داخل ذات الإنسان شيئاً وحتى النواقص في المحيط والعائلة والوراثة كل ذلك قابل للتعبير بتصميم الإنسان وإرادته إلا أن ننكر أصل الإرادة في الإنسان وحريته، ونعده محكوماً بالظروف الجبرية، وكل من سعادته أو شقائه ذاتي أو هو نتيجة جبرية لمحيطه، وما إلى ذلك. وهذا الرأي مرفوض في نظر الأنبياء وفي نظر المذهب العقلي أيضا.

أسباب السعادة والشقاوة في الروايات

الطريف أننا نجد في الروايات المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) إشارات إلى مسائل مختلفة على أنها أسباب الشقاء... بحيث يتعرف الإنسان خلال مطالعتها على طريقة التفكير الإسلامي في هذه المسألة المهمة، وسيقف على الواقعيات العينية وأسباب السعادة الحقيقية، بدلاً من أن يقف عليها في المسائل الخرافية والتصورات والسنن الخاطئة الموجودة في كثير من المجتمعات. ونلفت نظر القارئ الكريم على سبيل المثال إلى بعض الأحاديث الشريفة في هذا الصدد:

١ـ ينقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «حقيقة السعادة أن يختم للرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاوة ان يختم للرجل بالشقاوة»[1].

فهذه الرواية تقول بصراحة: إن المرحلة النهائية لعمر الإنسان وأعماله هي المرحلة التي تكشف عن سعادته وشقائه، وعلى هذا فهي تنفي السعادة أو الشقاء الذاتيين، وتجعل الإنسان رهين عمله، كما تجعل طريق العودة مفتوحاً في جميع المراحل حتى نهاية عمره.

٢ـ ونقرأ في حديث آخر عن الإمام علي (عليه السلام) «السعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره»[2].

وكلام الإمام علي (عليه السلام) هذا تأكيد آخر على عدم ذاتية السعادة والشقاء وبيان بعض أسبابهما.

أربعة أسباب للسعادة

أربعة من أسباب السعادة وأربعة من الشقاوة، فالأربعة التي من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب البهي. والأربعة التي من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء[3].

مع ملاحظة أن هذه الأمور الأربعة لها تأثير بالغ في الحياة المادية والمعنوية لكل أحد، ويمكن أن تكون من عوامل النجاح أو الفشل و تتضح بهذا سعة مفهوم السعادة و الشقاوة في منطق الإسلام.

فالمرأة الصالحة ترغب الإنسان في أنواع «الحسنات»، والبيت الواسع يهب روح الإنسان وفكره الهدوء والراحة ويهيئه للنشاط والفعالية، والجار الصالح الذي يقدم له عوناً مؤثراً في راحته واستقراره وحتى في تقدم أهداف الإنسانية، المركب الجيد عامل مؤثر في الوصول إلى الأعمال والوظائف الاجتماعية، في حين أن المركب السوء يكون عاملاً في التأخير ولا يوصل صاحبه إلى هدفه.

علامات الشقاء

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، «من علامات الشقاء: جمود العينين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والإصرار على الذنب»[2].

هذه الأمور الأربعة التي وردت في الحديث المتقدم، هي أمور اختيارية وهي نتيجة أعمال الإنسان وأخلاقه الاكتسابية نفسه، وعلى هذا فإن إبعاد أسباب الشقاء هذه تمكن في اختيار الإنسان نفسه.

ولو لاحظنا أسباب السعادة والشقاوة في الأحاديث المتقدمة وحقيقتها وأثرهما البالغ في حياة البشر، وقارناهما مع الأسباب والمسائل الخرافية التي يعتقد بها جمع كثير - حتى في عصرنا عصر الذرة والفضاء - لوصلنا إلى هذا الواقع الذي يؤكد أن التعاليم الإسلامية منطقية ومدروسة الى أقصى حد.

الآراء الخرافية

ولا يزال إلى اليوم من يعتقد أن نعل الفرس سبب للسعادة، وأن اليوم الثالث عشر سبب لسوء الحظ... والقفز على النار في بعض ليالي السنة من أسباب السعادة، وصوت بعض الطيور سبب للشقاء وسوء الحظ، وسكب الماء عند خروج المسافر من أسباب السعادة، والعبور من تحت السلم سبب للشقاء!!

وحتى تعليق بعض الأشياء في رقبة الفرد أو على وسائل النقل من أسباب السعادة والعطاس علامة على الفشل وكثير من أمثال هذه الخرافات نجدها في الشرق والغرب بين الأقوام والأمم المتعددة.

وكم من أناس تعطلوا عن نشاطهم في الحياة نتيجة ابتلائهم بمثل هذه الخرافات وأصبحوا رهن المصائب الكثيرة. لقد شطب الإسلام بقلم أحمر على جميع هذه التصورات الخرافية، وحدد - مبينا بوضوح - سعادة الإنسان وشقاوته في الفعاليات الإيجابية والسلبية ونقاط الضعف والقوة في الأخلاق والمناهج العلمية وطريقة التفكير والعقيدة لكل فرد، من خلال الأمثلة التي قدمناها في الأحاديث الأربعة عن أهل البيت (عليهم السلام)[3].

١ـ تفسير نور الثقلين: ٢ـ ٣٩٨.

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

٣ـ مكارم الأخلاق، ص٦٥.

٤ـ تفسير نور الثقلين: ٢ـ ٣٩٨.

٥ ـ مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث: مكارم الشيرازي، ص١٠٨ـ١١.

سلسلة مباحث التوحيد

مبحث إثبات التوحيد وأقسامه

القسم الأول

بعد أن تعرفنا في المباحث السابقة على أدلة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، واهم صفاته الذاتية والفعلية، بقي علينا ان نتعرف على وجوب الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى، والتعرف على بعض أدلة التوحيد وأقسامه لننتهي وإياكم من الأصل الأول من أصول الدين، ولنبتدئ أولا بذكر الأدلة الدالة على ذلك، وسنحاول طيا ان لا نخوض في الأدلة التي فيها تعقيد لفظي أو التي تحتاج إلى مقدمات طويلة قبل الوصول إلى النتيجة، مع عدم إغفالنا للجانب القرآني والروائي في فقرات هذا المبحث.

الوارث

وجوب الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه

قال الشيخ المفيد (في كتاب أحكام النساء ص ١٥): (باب ما يعم كافة المكلفين فرضه، ولا يسقط عنهم مع كمال عقولهم اعتقاد التوحيد لله سبحانه، ونفي التشبيه عنه، والتعديل له في الأفعال).

وأخرج الشيخ الكليني (الكافي ج ١ ص٨٦ باب أدنى المعرفة الحديث الأول): (عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أدنى المعرفة فقال: الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء).

الوارث

بعض أدلة التوحيد

قال الشيخ الصدوق (في كتابه التوحيد ص٢٦٩): (الدليل على أن الصانع واحد لا أكثر من ذلك أنهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كل واحد منهما قادرا على منع صاحبه مما يريد أو غير قادر، فإن كان كذلك فقد جاز عليهما المنع ومن جاز عليه ذلك فمحدث كما أن المصنوع محدث، وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز و النقص وهما من دلالات الحدث، فصح أن القديم واحد).

وقال الشيخ وحيد الخراساني (في منهاج الصالحين ج ١ ص ٣٩): (إن وحدة النظم في أجزاء العالم وفي كل العالم تثبت وحدة الناظم. فإن التدقيق في النظم والتركيب لكل جزء من أجزاء كل واحد من جزئيات أنواع الكائنات، وارتباط أنواع الكائنات كل واحد بالآخر يكشف عن أن الجزء والكل مخلوقان لخالق واحد عليم قدير حكيم. إن تركيب أجزاء شجرة، وأعضاء حيوان وقواه، وارتباط بعضها ببعض، وارتباطها بالأرض والشمس، وارتباط المنظومة الشمسية بسائر المنظومات والمجرات وبكلمة: إن تركيب الذرة الواحدة من نواتها وما يدور حولها إلى تركيب الشمس والسيارات والمجرات، يكشف عن أن خالق الذرة والشمس والمجرة واحد) وكلامه قدس الله سره إشارة إلى قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ).

الوارث

التوحيد على لسان القرآن الكريم والروايات الشريفة

قال تعالى: (قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ).

وقال تعالى: (إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ) (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ).

وقال تعالى: (لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ) (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وأخرج الشيخ الصدوق عن: (الفضل ابن شاذان يقول: سأل رجل من الثنوية أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وأنا حاضر فقال له: إني أقول: إن صانع العالم اثنان، فما الدليل على أنه واحد؟ فقال: قولك: إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك الواحد، فالواحد مجمع عليه وأكثر من واحد مختلف فيه).

ومن وصية لأمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام جاء فيها: (واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه).

من اللطيف أن نقرأ في حديث يرويه هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب الرجل الملحد الذي كان يتحدث عن تعدد الآلهة، أنه قال: (لا يخلو قولك أنهما اثنان من أن يكونا قويين أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما تقول، للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: إنهما اثنان، لا يخلو من أن يكونا متفقين من كل جهة أو متفرقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظما، والفلك جاريا، واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر، دل صحة الأمر والتدبير وإئتلاف الأمر أن المدبر واحد. ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلابد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهما فرجتان فيكون خمسا، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثرة).

الوارث

بعض الثمار العملية للتوحيد

الشيخ وحيد الخراساني في (منهاج الصالحين ج ١ ص ٤٢):

(ان الشهادة بـ"لا إله إلا الله" باللسان توجب صيانة النفس والمال والعرض في الدنيا، والشهادة بها بالقلب توجب النجاة من عذاب النار في الآخرة، والفوز بنعيم الجنة، فهذه الكلمة المباركة مظهر للرحمة الرحمانية والرحيمية).

وقال أيضا:

(إن من تكون هذه الكلمة ذكره الدائم فقد نجت سفينة قلبه بمرساة لا إله إلا الله من مهاوي الهلكة والأمواج المهيبة من الحوادث والوساوس والأهواء (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ).

أما أقسام التوحيد ومراتبه فسيأتي الكلام عنها في العدد اللاحق إن شاء الله تعالى.

الأرضة تُخبر عن وفاة نبي الله سليمان (عليه السلام)!...

روى الصدوق بإسناده إلى جعفر ابن محمد عن أبيه محمد بن علي (عليهم السلام) قال: إنّ سليمان بن داود قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح والإنسان والجن والطير والوحوش، وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى مماليكي (ممالكي) فلا تأذنوا لأحد عليّ بالدخول لئلاّ أجد علي ما ينغص عليّ يومي (نغّص: لم تتمّ هناءته، المنجد: مادة نغص).

فقالوا: نعم.

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متّكئاً على عصاه ينظر إلى مماليكه سروراً بما أوتي فرحا بما أعطي إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلما أبصر به سليمان (عليه السلام) قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبإذن من دخلت؟.

فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت.

فقال: ربّه أحقّ به منّي فمن أنت؟.

قال: أنا ملك الموت.

قال: وفيمَ جئت؟.

قال: لأقبض روحك.

فقال: امض بما أمرت به فيّ، هذا يوم سروري وأبى الله (عز وجل) أن يكون لي سرور دون لقائك، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه فبقي سليمان متّكئاً على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنه حيّ، فافتتنوا فيه واختلفوا:

فمنهم من قال: إنّ سليمان قد بقي متكئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يأكل ولم يشرب ولم يتعب ولم ينم إنه لربّنا الذي يجب علينا أن نعبده.

وقال قوم: أما إنّ سليمان لساحر، وإنه يرينا أنه واقف متكئ على عصاه ليسحر أعيننا وليس كذلك.

فقال المؤمنون: إن سليمان هو عبد الله ونبيه، يدبّر الله أمره بما شاء.

فلما اختلفوا بعث الله (عز وجل) الأرضة فدبت في عصا سليمان (عليه السلام) فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان من قصره على وجهه فشكرت الجن الأرضة على صنيعها فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلا وعندها ماء وطين وذلك قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾، يعني عصاه، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سورة سبأ، الآية: ١٤.

قال الصادق (عليه السلام): «وما نزلت هذه الآية هكذا، وإنما نزلت: فلما خرّ تبيّنت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[1].

(١) عبر من التاريخ، تأليف الشيخ باقر المحسني: ص ١٢٠ـ١٢٢.

من معاجز الإمام الحسن عليه السلام

كلامه عليه السلام
مع رسول الله بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم

عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

جاء الناس إلى الحسن بن علي (عليه السلام) فقالوا: أرِنا من عجائب أبيك التي كان يرينا، فقال: وتؤمنون بذلك؟ قالوا: نعم، نؤمن ـ والله ـ بذلك. قال: أليس تعرفون أبي؟ قالوا جميعاً: بلى نعرفه، فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين (عليه السلام) قاعد، فقال: تعرفونه؟ قالوا جميعهم: هذا أمير المؤمنين (عليه السلام)، ونشهد أنك أنت ولي الله حقاً، والإمام من بعده، ولقد أريتنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجد قبا بعد موته، فقال الحسن (عليه السلام): ويحكم، أما سمعتم قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1]، فإذا كان هذا نزل فيمن قتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟ قالوا: آمنا وصدقنا يا بن رسول الله[2].

ومنها: قال جابر بن عبد الله:

ولقد رأيت ـ وحق الله وحق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحسن ابن علي (عليه السلام) أفضل وأعجب منها، ومن الحسين بن علي (عليه السلام) أفضل وأعجب منها. أما الذي رأيته من الحسن (عليه السلام) فهو: أنه لما وقع عليه من أصحابه ما وقع، وألجأه ذلك إلى مصالحة معاوية فصالحه، واشتد ذلك على خواص أصحابه، فكنت أحدهم فجئته فعذلته، فقال: يا جابر، لا تعذلني، وصدق رسول الله في قوله: إن ابني هذا سيد، وإن الله تعالى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. فكأنه لم يشف ذلك صدري، فقلت: لعل هذا شيء يكون بعد، وليس هذا هو الصلح مع معاوية، فإن هذا هلاك المؤمنين وإذلالهم، فوضع يده على صدري، وقال: شككت وقلت كذا، قال: أتحب أن استشهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الآن حتى تسمع منه؟ فعجبت من قوله، إذ سمعت هدة، وإذا بالأرض من تحت أرجلنا انشقت، وإذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وجعفر وحمزة (عليهم السلام) قد خرجوا منها، فوثب فزعاً مذعوراً، فقال الحسن (عليه السلام): يا رسول الله، هذا جابر، وقد عذلني بما قد علمت، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لي: يا جابر، إنك لا تكون مؤمناً حتى تكون لأئمتك مسلما، ولا تكون عليهم برأيك معترضاً، سلم لابني الحسن ما فعل، فان الحق فيه، انه دفع عن حياة المسلمين الاصطلام بما فعل، وما كان فعله إلا عن أمر الله وأمري، فقلت: قد سلمت يا رسول الله، ثم ارتفع في الهواء هو وعلي وحمزة وجعفر، فما زلت أنظر اليهم حتى انفتح لهم باب من السماء ودخلوها، ثم باب السماء الثانية إلى سبع سماوات يقدمهم سيدنا ومولانا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[3]، [4].

١ـ سورة البقرة، الآية، ١٥٤.
٢ـ بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣٢٨ـ٣٢٩، ح٨.
٣ـ الثاقب في المناقب، ص٣٠٦ـ٣٠٧، ح١.
٤ـ المعاجز والكرامات: الشيخ فاضل الصفار، ص٨٩ـ٩٠.

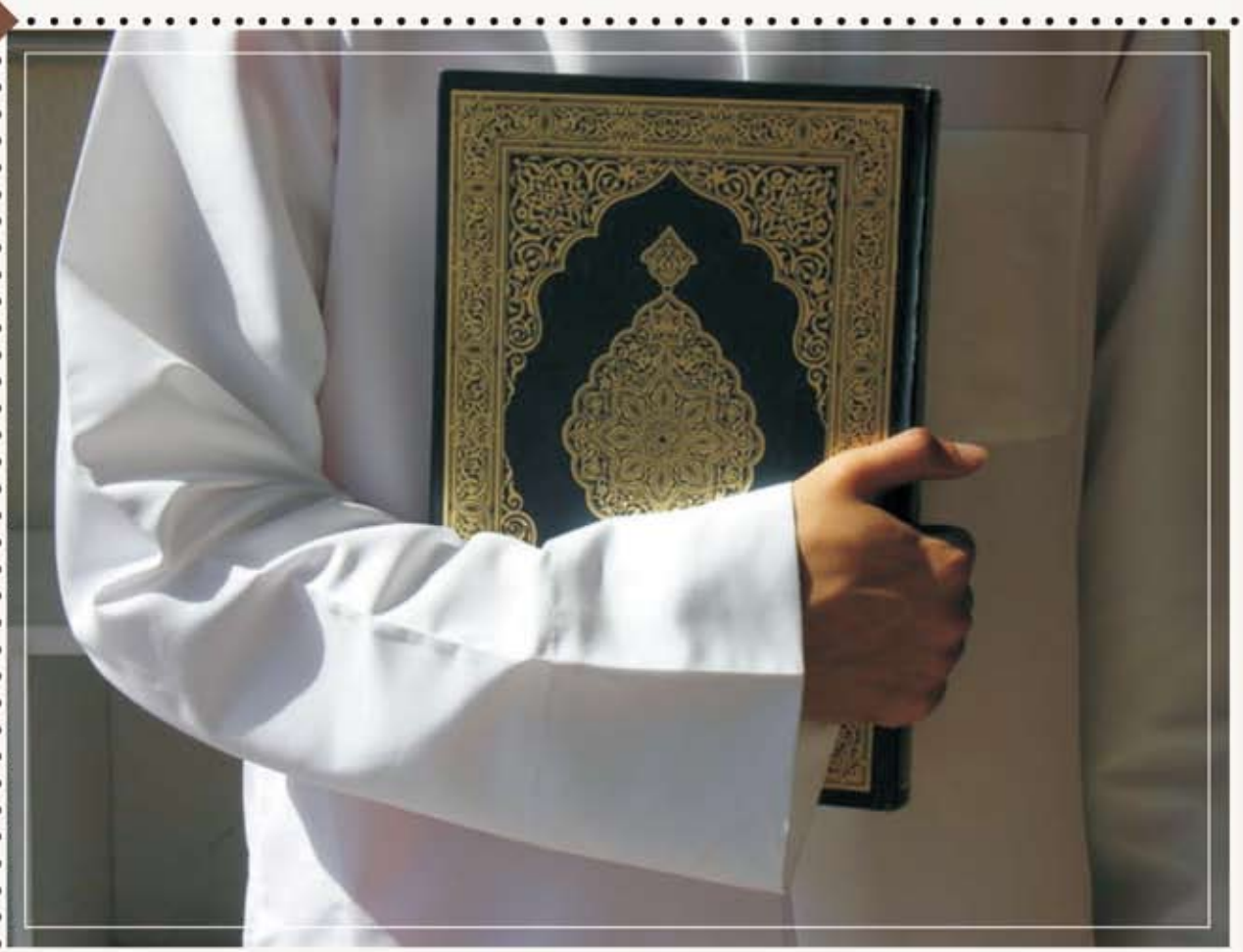

زرارة بن أعين

المؤتمن على حلال الله وحرامه

اسمه ونسبه

هو: (زرارة بن أعين بن سنسن مولى لبني عبد الله بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، أبو الحسن) وهو رضوان الله عليه وان كان مشهورا باسم زرارة إلا ان اسمه الحقيقي هو عبد ربه كما صرح أبو داود في رجاله، وكان أبوه أعين بن سنسن عبدا روميا لرجل من بني شيبان، تعلم القرآن وعلمه، ثم أعتقه فعرض عليه أن يدخله في نسبه فأبى أعين ذلك وقال (أقرني على ولائي) وكان سنسن جده راهبا في بلاد الروم.

وكان لزرارة عدة أبناء هم كل من (الحسن والحسين ورومي وعبيد وعبد الله ويحيى بنو زرارة) أما أخوته فهم (حمران النحوي، وبكير أبو الجهم، وعبد الله بن أعين، وعبد الملك بن أعين).

بعض أقوال الإمام الصادق عليه السلام في فضل زرارة

١: عن أبي بصير، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أباك حدثني أن الزبير والمقداد وسلمان الفارسي حلقوا رؤوسهم ليقاتلوا أبا بكر، فقال لي: لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي عليه السلام ستذهب).

٢: عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أحب الناس إلي أحياء وأمواتا أربعة: بريد بن معاوية العجلي، وزرارة، ومحمد بن مسلم، والأحول وهم أحب الناس إلي أحياء وأمواتا).

٣: وعن سليمان بن خالد الأقطع، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما أجد أحدا أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلا زرارة وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا. هؤلاء حفاظ الدين

وأمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة).

٤: وعن جميل بن دراج، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فاستقبلني رجل خارج من عند أبي عبد الله عليه السلام من أهل الكوفة من أصحابنا. فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال لي. لقيت الرجل الخارج من عندي؟ فقلت بلى هو رجل من أصحابنا من أهل الكوفة، فقال لا قدس الله روحه ولا قدس مثله انه ذكر أقواما كان أبي عليه السلام ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة علمه وكذلك اليوم هم عندي، هم مستودع سري أصحاب أبي عليه السلام حقا، إذا أراد الله. بأهل الأرض سوءا صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياءً وأمواتا يحيون ذكر أبي عليه السلام بهم يكشف الله كل بدعة ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين، ثم بكي. فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله ورحمته أحياءً وأمواتا، بريد العجلي وزرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم...).

خوف الإمام الصادق عليه السلام على زرارة

يتبين لنا ومن خلال الأحاديث السابقة ان زرارة بن أعين كان يمثل ثروة علمية وفكرية بحيث وصلت أهميته إلى درجة أن لولاه لخيف على تراث أهل البيت من أن يندثر، وبلغ إلى درجة أن صار أمينا على حلال الله وحرامه، ورجل بهذه الأهمية كان من الطبيعي ان تكون عيون السلطة متوجهة نحوه، تترصد عليه كل هفوة وزلة، وكوسيلة من وسائل الحفاظ عليه وإبعاد أعين السلطة عنه كان الإمام الصادق عليه السلام يتعمد ذمه في بعض مجالسه التي كان يحضرها بعض العيون والجواسيس الذين كانوا ينقلون ويكشفون للسلطة عن الرجال الذين يعتمد عليهم أهل البيت لنشر الأحكام والتوجيهات ليتم تصفيتهم من بعد ذلك، فمن أجل الحفاظ عليه وعلى أمثاله من المخلصين كان الإمام الصادق عليه السلام يتعمد ذمه وذمهم، وقد احتفظ لنا التاريخ بشاهد على هذه الحقيقة، فمن كلام للإمام الصادق عليه السلام مع ابني زرارة جاء فيه: (اقرأ مني على والدك السلام. وقل له: إني إنما أعيبك دفاعا مني عنك فان الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى في من نحبه ونقربه، يرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن وأن نحمد أمره.

فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا ولميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر لمودتك لنا ولميلك إلينا، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دفع شرهم عنك يقول الله جل وعز ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

هذا التنزيل من عند الله صالحة، لا والله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه، ولقد كانت صالحة ليس للعيب منها مساغ والحمد الله. فافهم المثل يرحمك الله، فإنك والله أحب الناس إلي، وأحب أصحاب أبي عليه السلام حيا وميتا، فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، أن من ورائك ملكا ظلوما غصوبا يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصبا ثم يغصبها وأهلها. فرحمة الله عليك حيا ورحمته ورضوانه عليك ميتا...فلا يضيقن صدرك من الذي أمرك أبي عليه السلام وأمرتك به...ولو أذن لنا لعلمتم أن الحق في الذي أمرناكم به، فردوا إلينا الأمر وسلموا لنا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها).

أقوال العلماء فيه

قال الشيخ النجاشي: (شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، وكان قارئا فقيها متكلما شاعرا أديبا، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقا فيما يرويه...ومات زرارة سنة خمسين ومائة).

وقال الكشي: (أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد بن معاوية...).

وقال ابن النديم: (وزرارة أكبر رجال الشيعة فقها وحديثا ومعرفة بالكلام والتشيع. ومن ولده، الحسين بن زرارة. والحسن بن زرارة من أصحاب جعفر بن محمد ورومي بن زرارة بن أعين وعبيد بن زرارة).

وما لم نذكره من أقوال المادحين فأكثر وأكثر، وأمره رضوان الله تعالى عليه أجل وأعظم من أن يحتاج إلى بيان، فرحمه الله وجزاه خيرا عن التشيع وأهله لما قدمه من خدمة جليلة.

طبيعة الحوار في الأعمار المختلفة

إن حياة الأطفال الصغار جداً تدور حول محور الأسرة والأشخاص الذين يعتنون بهم، ويعتمد تطور الطفل، ذكراً أم أنثى على مقدار الاهتمام والرعاية اللذين يوفرهما له هؤلاء الأشخاص، وينمو الطفل ويتطور، جسدياً وعاطفياً من خلال التكلم واللعب ومراقبة الآخرين والمشاركة في حياة الأسرة، ومع نمو الطفل ينمو أيضاً فهمه للغة وقدرته على التعبير عن أفكاره ومشاعره. في معظم المجتمعات، سرعان ما يقيم الطفل شبكة من العلاقات مع أشخاص من مختلف الأعمار من الكبار والصغار، فضلاً عن أفراد الأسرة المباشرين بين (الأم) ـ (الأب) ـ (الأخوة) يتعلم الأطفال إقامة التواصل مع أفراد الأسرة الكبرى (الأقارب) والأصدقاء والجيران. وهم يحتاجون إلى هذه الفرص الاجتماعية الغنية بقدر حاجتهم إلى إرشاد وتوجيه من الكبار الأقرب إليهم لكي يتطوروا عاطفياً وفكرياً.

وكثيراً ما يخطئ الكبار عندما يعتقدون أنّ الأطفال دون السابعة من العمر أصغر من أن يلاحظوا ما يحصل حولهم أو أصغر من أن يتمكنوا من نقل أفكارهم ومشاعرهم إلى الآخرين.

ويفترض البعض أنّ الأطفال لا يشعرون بضائقة الآخرين، ولا يتأثرون بالأحداث الخطرة أو الحزينة، فلذلك تراهم لا يشرحون لهم شيئاً مما يدور حولهم. ويتركون الطفل مع ذكرياته الأليمة بمفرده يستنتج ما يشاء دون شرح الحدث وتفسيره إن كان موت أحد أفراد الأسرة أو سفره أو اعتقاله.

والواقع أنّ الأطفال يعيشون منذ لحظة الولادة، ضمن مجموعة اجتماعية، وهم شديدو الحساسية إزاء الجو العاطفي المحيط بهم وإزاء تصرفات الآخرين. وحتى عندما لا يستطيع الأطفال الصغار التعبير بالكلمات عن مشاعرهم أو أفكارهم فإنّهم يعبّرون عنها بشكل غير مباشر من خلال سلوكهم وطريقة لعبهم ورسومهم أو من خلال أحلامهم وكوابيسهم. فمن خلال هذه التعبيرات يطرحون أسئلة عن وضعهم، أو حول الناس الآخرين، وعلينا أن نقبل أنّ الطفل يعبّر عن مشاعر القلق أو الحزن من خلال السلوك (كالانفعال مثلاً أو الاستيقاظ ليلاً) أكثر مما يعبّر عنه بالكلمات.

إنّ مساعدة الأطفال تتطلب حساسية مرهفة تجاه هذا التواصل وحل المشكلات وتحمل المسؤولية وإنجاز واجباتهم. وفيما يلي عرضٌ لطبيعة الحوار في الأعمار المختلفة.

١ـ في السنوات الخمس الأولى:

حيث يميل الطفل إلى اللعب واللهو، ويكون بحاجة إلى تلاطف وحوار، وبذلك يمكن استغلال مواقف اللعب ومشاركة الطفل باللعب لفتح قنوات حوار معه، كما يمكن فتح قنوات حوار مع الطفل من خلال تصرفاته اليومية وأسئلته التي لا تنتهي، والتي يطرحها باستمرار لإشباع حب الاستطلاع لديه.

٢ـ في السنوات الخمس الثانية:

وهنا يكون الطفل بحاجة إلى تقدير مشاعره وأحاسيسه وهذه المرحلة العمرية مهمة في تكوين السمات الخلقية لديه وتظهر لديه في هذه المرحلة علائم الحياء والخجل الزائد وعدم الثقة بالنفس فالحوار هنا ضروري شرط أن يكون بعيداً عن السخرية، مساعداً على تعزيز ثقة الطفل بنفسه.

٣ـ في السنوات الخمس الثالثة:

والحوار مع الأبناء هنا يتطلب مستوى من الوعي الأسري وشيئاً من الثقافة والمستوى العلمي وتحسس ما يريد الابن في هذا العمر. لأنّ هذا يعطي للأبناء مؤشّراً بأنّ الوالدين قادران على الحوار وتلبية طلباتهم وفهمهم.

أسس الحوار مع الطفل

هنالك ركائز أو لنقل أسس يعتمد عليها الحوار مع الطفل وهي:

أ ـ تقبل مشاعر الطفل:

أولاً: أن نتقبل مشاعره قبل أن نبدأ الحوار معه فالأطفال مثل الكبار، يفكرون وتدور الهواجس والأحاسيس في داخلهم، ولكن الفرق بينهم وبين الكبار أنّهم لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم فتعمل الأحاسيس المختلفة بداخل الطفل الذي لم يتمكن بعد من التعبير عنها كما يفعل الكبار، ويتمُّ التعبير عن هذه المشاعر تلقائياً بسلوكيات مختلفة كالبكاء أو نوبات الغضب أو الهرب والالتصاق بالأم أو الأب، أو رفض المحاولة أو الضرب أو العض وما إلى ذلك. وما يفعله الكبار تجاه ذلك عادة ـ هو توبيخ الطفل أو نهيه عن إظهار مشاعره بهذه الطريقة. فمثلاً عندما يقع الطفل نقول له: لا تبكِ هذا جرح بسيط، أو أنت لست صغيراً لتبكي، أو نعلق على بكاء الرضيع ونقول: أوه أنت لا تسكت أبداً أزعجتنا كثيراً... وهكذا تتوالى التعليقات المختلفة التي تظهر عدم تقبلنا للمشاعر، فمثلاً عندما يضرب أو يعض طفلاً آخر، بدلاً من الهجوم على المعتدي وضربه أو توبيخه بكلمات قاسية علينا أن نهتم بالطفل الضحية بأن نضمه ونهدئه بوصف شعوره له بالكلمات: (أنت متألم ... هل تريد مساعدة؟) ثم نلتفت إلى المعتدي ونقول له بحزم (أنا أعرف أنك متضايق من زيد، تعال وأخبره بذلك، أما العض فهو مؤلم جداً، ولو كنت غاضباً يمكنك عض هذه المخدة فهي لا تتألم).

وبهذه الطريقة نكون قد تحدثنا مع الطفلين وساعدناهما كليهما على تقبل مشاعرهما وتقديم أنموذج إثبات[1].

١ـ كيف أُجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره: أ. د. سلوى مرتضى، ص١٩ ـ ٢٦ ـ ح٢.

النجم النتروني

يمثل هذا الجسم أيضا حالة متطرفة من حالات المادة مرصوصة بفعل الثقالة أو التجاذب إلى كثافات هائلة ـ حتى إنها تشبه نواة ذرية ولكن بحجم مدينة كاملة وتمثل هذه الحالة نهاية الحياة للعديد من النجوم ذات الكتل العالية، ثم إن نصف قطر نجم نيتروني ذي كتلة تساوي كتلة الشمس هو نحو ٣٠ كيلو مترا وهذا يعادل أفق الحدث الذي يعين تخوم ثقب أسود ذي ١٠ كتل شمسية ولكن الخصائص المرصودة مثل درجة حرارة المادة التي تسقط نحو الجسم، لا تستطيع التمييز بين الجسمين ـ الثقب الأسود والنجم النيتروني، وهكذا بقيت المشكلة الرئيسة في دراسة الثقوب السوداء هي اكتشاف الطرائق الصحيحة للتمييز بينها وبين النجوم النيترونية.

ولعل الفلكيين اكتشفوا طريقة لذلك، وهي تعتمد على اختلاف واضح بين النجوم النيترونية والثقوب السوداء، فالنجوم النيترونية لها سطوح قاسية يمكن أن تتراكم عليها المادة المنجذبة نحو الجسم، أما المادة التي تسقط على الثقوب السوداء فتبتلع وتختفي إلى الأبد ويؤدي هذا الاختلاف إلى تغير دقيق في الأشعة المنبعثة من المنطقتين المحيطتين بهذين الجسمين، مما يتيح للفلكيين أن يبرهنوا على أن الثقب الأسود ـ الجسم الأكثر غرابة في الكون ـ وهو حقيقة واقعة.

١ـ أساسيات العلوم الفيزيائية : د.أحمد فؤاد باشا ـ د. فوزي حامد عبد القادر ـ د.محمد نبيل يس بكري ـ د.شريف أحمد خيري، ص٩٧٣ ـ ٩٧٤.

السلام علیک یا علی بن موسی الرضا

صلى الله عليك
عليهما السلام
يا محمد بن علي الجواد